أوراق إستراتيجية

التّحليق تحت مستوى الرادار: الدّبلوماسيّة الثّقافيّة للولايات المتّحدة في الشّرق الأوسط.

بقلم Gordon R. Robinson
مشارك كبير في المركز الثّقافي الأميركي للعلاقات الدّيبلوماسيّة العامّة.
مدير المشروع الاعلامي للشّرق الأوسط.

December, 2005

عمّان، تمّوز 2005

انّ مكتباً واثنين من الحواسيب، وبعض رفوف الكتب في الطّابق الثّاني من المكتبة في الجامعة الأميركيّة في الكويت، يمثّلون أحد الخطوط الأماميّة في معركة واشنطن لأجل كسب العقول والقلوب في الشّرق الأوسط المسلم.
انّ الجامعة جديدة، وقد فتحت أبوابها للطّلاب للمرّة الاولى في الخريف الماضي، وما زالت في عمليّة تلقّي الطّلبات. وعلى كلّ حال، ومنذ اليوم الأوّل، كان لديها " زاوية أميركيّة ". انّ التّنظيم نموذجي للغاية: مكتب مُجَهّز بموظّفي الجامعة ممن تلقّوا تدريباً خاصّاً من السّفارة الأميركيّة المحليّة، مع زوجين من الحواسيب مع خطوط انترنت وحوالي 200 كتاب عن مواضيع أميركيّة. انّ هذه السّلسلة من الاعمال الأكاديميّة في القانون والتّاريخ والمراجع للنّظام السّياسي الأميركي تُبرز الوجه للثّقافة الشّعبيّة (بوسترات الأفلام في الثّمانينات).
كما يوجد كراسي مريحة تُحيط بمكان المطالعة المُحاذي للزّاوية، وعندما تقوم السّفارة بتقديم الخُطباء الى الجامعة فانّهم يستعملون أحياناً الزّاوية الأميركيّة لخُطبهم.
" انّ الغاية هي تشغيل مصدر للنّاس الّذين يُريدون امّا القيام ببحث عميق أو أنّهم يريدون فقط أن يتآلفوا مع مُختلف وجوه المُجتمع والثّقافة الأميركيّة "، قال Haynes Mahoney ، مسؤول العلاقات العامّة في السّفارة الأميركيّة في عمّان بالاردن.
وقد أنشأ Mahoney وفريق عمله " الزّوايا الأميركيّة " في كلّ من جامعة الاردن والجامعة الهاشميّة في عمّان.
وقال Mahoney " انّ البرنامج ناجح تماماً، كان لدينا عدد من برامج الخُطباء المعقودة في هذه الزّوايا، ونأمل أن يكون لدينا مؤتمرات فيديو رقميّة ".
انّ المفهوم ليس جديداً. انّ أولى الزّوايا الأميركيّة كانت قد أنشأت في الاتّحاد السُفياتي السّابق، واحتضنتها وزارة الخارجيّة بشكل أويع في الحرب العالميّة الباردة المعروفة.
لقد حلّت الزّوايا الأميركيّة بشكل واسع محل المراكز الثّقافيّة الحرّة والمكتبات الأميركيّة، والّتي كانت تديرها وكالة المعلومات الأميركيّة السّابقة حول العالم.
وفي حقبة الميزانيّة الضيّقة، فانّ الزّوايا الأميركيّة استغلّت بشكل مزدوج كونها آمنة وأقل كلفة. انّ فاتورة كلفة انشاء احداها تتراوح بين 50 ألف و 70 ألف دولار، كما أنّها تُمثّل بشكل كبير أهدافاً غير مرئيّة أكثر من المكتبات والمراكز الثّقافيّة السّابقة، وبما أنّها مُجهّزة بموظّفين من المؤسّسات المُضيفة، فانّ تكاليفها المستمرّة هي في حدّها الأدنى، كذلك الأمر التّعرُّض المُحتمل لموظّفي الحكومة الأميركيّة للتّهديد الأمني.
انّ الزّوايا الأميركيّة هي محاولة للاضطلاع بحقبة جديدة لم تعد توجد فيها وكالة المعلومات ألأميركيّة- - (والّتي كانت مُدرجة في وزارة الخارجيّة في العام 1999) والّتي عانت فيها الشّؤون الثّقافيّة وبشكل مثير للجدل من اقتطاع شديد بالميزانيّة أكثر من أي جزء آخر من الأجهزة الدّيبلوماسيّة الأميركيّة العامّة.

" وبهذا المعنى، فانّ الثّقافة تعني التّعليم بشكل أوّلي، كما يعني التّبادُل بين الشّعوب " قالت Hilary Olsin-Windecker ، المُستشارة للعلاقات العامّة والصّحفيّة في السّفارة الأميركيّة في أبو ظبي في الامارات العربيّة المتّحدة. " انّها ليست الثّقافة، مع التّشديد على ذلك. انّ ذلك النّوع من النّشاط على مدى 10 سنوات قد توقّف تقريباً ".

وبالطّبع، فانّ الشّيء الرّائع بالنّسبة للعديد من البرامج الثّقافيّة الأميركيّة المُموّلة حكوميّاً، هي أنّها منتشرة ومميّزة تماماً في ادارتها. ولكن اذا مشيت في أفضل الأماكن في عمّان، من الصّعب أن تفوتك البوسترات الاعلانيّة عن احتفال عرض فيلم فرنسي أو أداء لفرقة رقص ايطاليّة أو بدء دورة جديدة لصفوف اللّغة الاسبانيّة في مؤسّسة Instituto Cervantes .

.

انّ عروض السّفارة الأميركيّة، رُغم البُعد لذلك، نادراً ما يُعلن عنها بهذه الطّريقة.

انّ هذه تشمل برامج تبادُل عريقة ك Fulbright و برامج أُخرى، مثل مُبادرة الادارة الأميركيّة للشّراكة مع الشّرق الأوسط، والّتي ترتكز على نشر الدّيمقراطيّة وحقوق النّساء. انّ الأحداث العامّة قد تكون المسائل الأكثر احتمالاً للمُباحثات في الجامعة أو لمجموعة عمل محليّة بواسطة مسؤول حكومي مؤقّت أو مُفكّر. وقد ذكر كل من Olsin-Windecker و Mahoney الزّيارات الأخيرة لاثنين من لاعبي ال Basket Ball من جامعة جورج تاون اللّذان عمِلا مع فِرق محليّة ودرّسا في مراكز ال Basket Ball للشّباب (انّ ال Basket Ball تأتي بالمركز الثّاني كأكثر الرّياضات شعبيّة في الشّرق الأوسط)، والّتي لا تجد لها بوسترات مُعَلّقة في مراكز السّوبر ماركت المحليّة.

ومع فريق عمل من 26 موظّفاً، يديرMahoney من عمّان احدى أكبر مكاتب المعلومات والعلاقات العامّة في المنطقة. كما انّ مكتب أبو ظبي صغير نسبيّاً، وهو يتألّف من Olsin-Windecker واثنين من مساعديها. وحتّى الآن، وعندما يُطلب منّا أن نسمّي برنامجاً أخيراً ناجحاً خاصّاً، يُذكَر كلاهما كمبادرين شهيرين لاجل طبيعتهما الهادئة. ولMahoney بشكل خاص الفخر بالبرنامج التّبادُلي، حيث أرسل 24 من رجال الدّين الاسلامي الى الولايات المتّحدة على مدى الثّلاث سنوات الماضية. " كانوا نوعاً من الأئمّة الصّغار الّذين يُقدّمون الخطب في المساجد المحليّة"، قال Mahoney.

لقد استشهد بمقابلة أثناء زيارة لاحد رجال الدّين من " معان "، وهي مدينة تقع في جنوبي الأردن تُعرف بفوراتها العنيفة المتلاحقة المُعادية للنّظام. قالMahoney أنّ الامام أخبر جمهوره من المُصلّين، ومن دون أن يُحقّر الولايات المتّحدة على الاطلاق، أنّه قد تمّ التّرحيب به في الكنائس والكُنُس اليهوديّة بشكل سواء وأعطي الفرصة ليشرح أنّ الاسلام هو دين سلام. وقال،... لقد تحقّقت أنّ الأميركيّين هم شعب لديه قيم لا تختلف عن قِيَمنا، ولذا ومهما كان رأينا بالسّياسة الأميركيّة الخارجيّة، فانّه يجب علينا أن نكون حذرين بالتّمييز بين الشّعب وتلك السّياسة ".

وبعد أن أنهى موعظته، كما أخبرنا، كان النّاس يصعدون اليه ويسألونه ان كان هو نفس الفرد الّذي كان يعظ قبل ذهابه الى الولايات المتّحدة، لأنّه كان قد رسم صورة عامّة لأميركا بأنّها قوّة شيطانيّة.

وقد كان لدينا نفس ردّة الفعل، أو نفس القصّة من اثنين من الأئمّة الآخرين الّذين كانوا في الولايات المتّحدة. أحدهما كان من " الزّرقاء " والآخر من " اربد ".

كما أنّ Olsin-Windecker في أبو ظبي كانت قد وضعت برنامجاً مُوجّهاً لمدرسة أطفال الّذين، وكما رجال الدّين، عاشوا بعيداً عن مراكز الحضارة الغربيّة للبلد.

" لقد أخذنا 100 من طلاّب الصّف 11، مُقَسّمين بالتّساوي بين الذّكور و الاناث وفي مناطق من عمّان لم يكونوا مُعَرّضين بشكل كبير للولايات المتّحدة أو الغربيّين، أو لم يكونوا يمتلكون اللّغة الانكليزيّة جيّداً، قالت Olsin-Windecker .

لقد قدّم البرنامج درساً انكليزيّاً مثقِفاً بعد دوام المدرسة، مُستعملاً مواد تؤكّد على الثّقافة الأميركيّة والتّاريخ والعُطَل، وانتهى الأمر بزيارات الى السفارة في أبو ظبي مُصَمَّمة لأن تشرح بالشّواهد التّنوُّع للولايات المتّحدة.

" لقد حاولت أن أقدّم لهم عدداً واسعاً ومتنوّعاً من الموظّفين الّذين يمكنهم أن يتواصلوا معهم- احدى المهاجرات من الجيل الأوّل من الهاجرين الأفغان، والّتي كانت متزوّجة من مسلم صومالي ، وهي مسؤولة عسكريّة. وهكذا، وبالتّدريج، كان لديهم صور حقيقيّة عن الأميركيّين غير تلك الّتي كانوا يرونها في الصّحف"، .Olsin-Windeckerقالت

" انّهم لم يُحسّنوا على مدى ستّة شهور لغتهم الانكليزيّة بشكل دراماتيكي فقط، وانّما حسّنوا رؤية مختلفة جدّاً عن الولايات المتّحدة. لقد حصلنا على ايجاباتهم على تساؤلات: كُنّا نعتقد أن الولايات المتّحدة تكره العرب، أو، كُنا نعتقد بعد 9\11 أنّ لا أحد منّا هو مُرحَّب به أو أنّ الجميع يكرهوننا. نحن نرى الآن أنّ ذلك ليس صحيحاً. انّ الأميركيّين هم أصدقاء لنا. أو، انّ كل رفاق صفّي يريدون تجربة مماثلة، هل نستطيع الحصول على منح مدرسيّة أكثر؟ انذ أشياء كهذه تُعتبر فعلاً مدهشة ".

انّ المَخرج المُشترك هنا هي النّسبة المعيّنة الصّغيرة للبرامج وكلفتها المنخفضة نسبيّاً (انّ برنامج Olsin-Windecker للّغة الانكليزيّة يكلّف ألف دولار للطالب). كما تؤكّد هذه البرامج على مشاركتي من أماكن بعيدة جدّاً عن النّخبة المدنيّة وعن السّكان الغربيّين المغتربين.

انّ الأمل، وبوضوح، هو خلق جهد متموّج بين أكبر عدد من السّكان.

ولكن كيف يمكن للبرامج الأكثر هدوءاً والمُنعَمة من هذا النّوع أن تنافس لأجل كسب العقول والانتباه في وسط الطّوفان الجريء والمتزايد للثّقافة الشّعبيّة الأميركيّة حول المنطقة وطبعاً حول العالم؟

قبل 15 سنة أو حتّى عشر سنوات، لم تكن الأفلام اليهوديّة الضّخمة تُفتح في عمّان ودبي في نفس نهاية الأسبوع الّتي تفتح فيها في كل من نيويورك ولوس أنجيلوس، ونادراً ما كانت تُشاهد أفلام الفيديو للموسيقى الغربيّة في المنطقة. كما كانت تُعتبر الأخبار على مدار السّاعة باللّغة الانكليزيّة بدعة (ولم تكن موجودة باللّغة العربيّة)، وكان التّلفزيون يعني قناة واحدة أو قناتين محلّيتين، وانّ حصولك على 5 أو 6 محطّات كان يعني أنّك تعيش في مكان تتلاقى فيه حدود عدّة بلدان مع بعضها البعض، الاّ أنّ هناك حقيقة جديدة الآن في المنطقة، والّتي أجبرت خلفاء وكالة المعلومات الأميركيّة القديمة على اعادة تخيُّل لأعمالهم.

" انّ وزارة الخارجيّة لا ترى نفسها كمنافسة للثّقافة الشّعبيّة الأميركيّة، نحن دورنا كمكمّل لائق في سياق تلك الثّقافة الشّعبيّة "، كتب ذلك Alberto Fernandes مدير مكتب الصّحافة والدبلوماسيّة العامّة في دائرة وزارة الخارجيّة لشؤون الشّرق الأوسط الأدنى في مقابلة على البريد الالكتروني من بغداد، حيث كان في مهمّة مؤقّتة.

وبينما " غير الميكانيك، كما جعلت التّكنولوجيا بعض وجوه الثّقافة، مثل السّينما، متوفّرة بسرعة أكبر"، أضاف Fernandes " فلا يزال لدينا دور لنلعبه في بث الأفضل من الثّقافة الأميركيّة- سواء كان الأدب الأميركي أو عرض الفنون أو الفنون البديعة أو تقليد الاستقلال- كما البحث المستفيض المفتوح ".

على كل حال، انّ فعل ذلك أصبح وبشكل متزايد أمراً صعباً. " انّك لا تزال لا تستطيع- كما فعلت في العام 1995- أن تحضر فرقة باليه أميركيّة لتقدّم عرضها في Citedal in Aleppo (في سوريا)، لكنّك ستنال دعماً أقل من واشنطن لتستطيع فعل ذلك "، يقول Fernandes .

انّ Len Baldygas ، وهو موظّف في VSIA متقاعد والّذي يتتبّع المسائل الدّيبلوماسيّة العامّة، وهو شخص لاذع. " لقد تخلّينا بالكامل عن حقل عرض الفنون، ولذلك فقد أضعفنا برامجنا الديبلوماسيّة الثّقافيّة "، كتب Baldygas في مقابلة على البريد الالكتروني.

" انّ الميزانيّة العالميّة لعروض الفنون هي حوالي مليون دولار بأفضل الأحوال. لقد كان لدينا أكثر من ذلك بالنّسبة للاتّحاد السّوفياتي وأوروبا الشّرقيّة".

ويقول Mahoney أنّ باستطاعته احضار عروض فنّانين الى عمّان مرّتين أو ثلاث مرّات في كلّ سنة. " انّ آخر عرض صنعناه كان لفرقة Battery Dance Company والّتي قُدّمت برعاية عمدة المدينة في مركز الحسني الثّقافي".

وكما يذكر برنامجJazz Ambassadors ، والّذي كان يحضر دوماً مجموعات أصغر من الموسيقيّين الى المنطقة.

وكما يشير Baldygas على كل حال، فانّ هذ بَون شاسع عمّا كانت تفعله الحكومة سابقاً. " في أسبوع واحد ولوحده، كان لدينا في وارسو عام 1972 عروض باليهNew York City Ballet مع جورج بالانشاين وفرقة Merce Cunningham dance Company ، ومجموعات عديدة من فرق الجاز الّذين أتوا لأجل Warsaw Jazz Jamborec (انّ شارلي مينغاس، اِلفن جونز، ستان غيتز ومايلز ديفيسكانوا ممثّلين منتظمين لاحتفال New Port Jazz Festival ، والّذين كانوا يخرجون الى بلدان الكتلة السّوفياتيّة بعدما ينتهي الاحتفال. لا يوجد شيء يقترب من ذلك المستوى للبرامج الآن "، قال Bajdygas .

" لقد انقضت المعارض الموضوعيّة والفنون الكبرى الّتي نظّمتها الادارة مع مؤسّسة Smithsonian ، ومع معارض أميركيّة كبرى لأجل العروض عبر البحار.لقد كُنّا نرسل هذه المعارض الى الكتلة السّوفياتيّة بانتظام: انّ العروض الموضوعيّة مثل أدوات يدويّة وبلاستيكيّات وفنون الرّسوم التّصويريّة كلّها صنع الولايات المتّحدة، وهي جزء من خدمة المعارض المنتقلة بالاضافة الى عروض الفن القديم والرّسم من معارضنا الفنيّة الكبرى".

" هكذا هوالأمر "، قال مستنتجاً، " يوجد القليل من الثّقافة أو لا يوجد في دائرة وزارة الخارجيّة للشّؤون الثّقافيّة والتّعليميّة ".

انّ هذه النّدرة تمتدّ أيضاً الى السّينما. انّ مشاهدة آخر القنابل الهوليوديّة هو أسهل الى حدٍّ ما من فعلها في الشّرق الأوسط، حيث أنّ أفلاماً مستقلّة وأقصر وتفتقر الى التّسلسل الحركي الطّويل يَصعُبُ انتاجها.

" كان لدينا مكتباً للافلام الّذي كان يسهّل الأشياء كاحتفالات عرض الأفلام، لكنّه أُغلِق"، قالتOlsin-Windecker .
" ما هي آخر تجربة للافلام؟ عندما كنت في الهند، قمنا بصنع فيلمAmstid ". انّ هذا الفيلم يعود للمخرج ستيفن سبيلبيلرغ في العام 1997 وهو دراما تالريخيّة عن تمرُّد على متن سفينة عبيد.
من الصّعب أن تجد أي شخص يتعامل مع الدّيبلوماسيّة الثّقافيّة أو العامّة ولا يتذمّر من اقتطاعات الميزانيّة.
" لقد تراجعت الولايات المتّحدة بشكل كبير بالفعل في الدّيبلوماسيّة الثّقافيّة على مدى ال15 سنة الماضية "، قال Fernandes ، ومركزه واشنطن الآن، لكنّه مسؤول العلاقات العامّة في خمس سفارات أميركيّة مختلفة على خلفيّة خطّه المهنيّ.
" لقد رأيته يحصل أمام عينيَّ. انّ العقليّة الضّيقة لعدد من المسؤولين في ذلك الوقت رؤوا هذا الامر كمتاع غير نافع، وكان من بين الاشياء المرميّة أوّلاً والّتي حُكم عليها بالموت بوكالة المعلومات الأميركيّة(VSIA) في أواخر التّسعينيّات. انّه نوع من النّشاط الّذي يتلقّى الازدراء أسرع من غيره من كلٍّ من العاملين في الكونغرس والبيروقراطيّين التّنفيذيّين في واشنطن(رغم انّ السّفراء كانوا يحبّون ذلك).
ويقول Mahoney انّ الأشياء كانت قد بدأت تتغيّر عللى كلّ حال. " كان هنالك هبوطاً بعد نهاية ما كان يُسمّى بالحرب الباردة مباشرة: هبوطاً عامّاً في مصادر ثرواتنا.....
ومنذ 9\11، كان هنالك تراجُعاً دراماتيكيّاً بمصطلحات المصادر، والّتي كان علينا كأشخاص عاملين بالشّؤون العامّة، أن نشرح ماهيّة المجتمع والثّقافة الأميركيّة كان علينا في المنطقة ".
أمّا كيف يمكن لهذه المصادر الجديدة أن تُستعمل، فانّ ذلك على كلّ حال موضوع للبحث.
لقد انتقدت دراسة أخيرة من قِبل لجنة العلاقات الخارجيّة جهود الدّيبلوماسيّة العامّة ألأميركيّة بشكل عام. ونادت " بعلامة " أفضل مُشيرة الى أنّ المُتلقّين لمساعدة الحكومة الأميركيّة غالباً ما لا يعلمون من أين جاءت هذه المُساعدة.
وفوق ذلك، يشير Mahoney الى أنّ المنظّمات غير الحكوميّة (NGO’S)والّتي تتلقّى تمويلاً من الحكومة الأميركيّة، غالباً ما لا تكون مُتحمّسة لاعلان تلك الحقيقة- رغم أن أنظمة وزارة الخارجيّة عادةً تطلب ذلك النّوع من التّعريف لمصدر التّمويل المُقدِّم. " هل أنّ هذه المنظّمات الأردنيّة غير الحكوميّة(NGO’S) وغيرها تريد أن تشيد بالذّكر بما يتعلّق بعملها مع الولايات المتّحدة في هذا البرنامج؟ غالباً لا يريدون ذلك، وانّ ذلك هو أمر مفهوم بسبب الجو وتحفُّظات الشّعب على السّياسة الخارجيّة هُنا، لكنّهم وبشكل عام يعودون ويعرّفون عنّا بطريقة أو بأُخرى "، قال Mahoney .
ويجادل Fernandes أنّ هكذا تركيز، وخاصّة في مجال الشّؤون الثّقافيّة، يُخطىء الهدف.
" انّ العلامة هي أمر مُغالى فيه "، كما يقول ثمّ يُضيف " انّ أميركا ليست علامة تجاريّة لمعجون أسنان ".
" انّ المشكلة ليست مسألة علامة أو افتقارها لذلك " تابع قائلاً " انّ المشكلة هي ندرة التّمويل المرن في أيدي مسؤولي العلاقات العامّة وفي مبادىء واشنطن الدّاعمة لهذا الحقل ليستطيع هؤلاء المسؤولين من تسخير ابداعاتهم وتمويل البرامج المستهدفة بسرعة ليكون لها وقع وللتّأثير على الحاضرين الأساسيّين أثناء ترويج أهداف السّياسة الأميركيّة".
وتابع Fernandes جِداله بأنّه عندما يأتي موضوع تحسين صورة أميركا في الخارج " فانّ العديد من جروحاتنا نحن مَن إبتلينا أنفسنا بها : أبو غريب، غوانتانامو، معاملة المُهاجرين والزّائرين الى الولايات المتّحدة، انّ كل ذلك هو سُم ديبلوماسي شعبي أرجعنا الى الخلف بشكل هائل، ولأنّنا لم نفعل الأمر الآخر- التّمويل، التّحضير والتّخطيط المُسبق الفعّال- فإنّ الضّرر ازداد ".
" لو أنّنا كُنّا بشكل أكمل على مستويات إنسانيّة عديدة مع الجمهور العربي المسلم- في مصطلحات الحوار الثّقافي والتّبادُل الرّاقي للآرآء- فإنّ الضّرر الّذي قد يتأتّى بشكل مُؤكّد من هكذا أعمال كان يمكن أن يُخفت صوته ويُوضع في السّياق. والى الآن"، إستنتجَ قائلاً " فإنّنا سوف نستمر بالقيام بما كُنّا نقوم به أكثر الأحيان في مِهنتي: حاول أن تقوم بأكثر ما يمكنك القيام به بما هو مُتوفّر لديك، حاول أن تكون خلاّقاً وذكيّاً ومُتسلّلاً ومُقنعاً وفعّالاً قدر إستطاعتك وكأنّك تُسلّم رسالة".
إنّ Gordon Robinson هو مُشارك كبير في Annenberg School للإتّصلات المؤسَّسة في عمّان، الأردن، حيث يكتب بإنتظام للمركز الثّقافي الأميركي للدّيبلوماسيّة العامّة. وبالنّسبة إلى المشروع الإعلامي للشّرق الأوسط: إنّ المشروع الإعلامي للشّرق الأوسط للمركز الثّقافي الأميركي للدّيبلوماسيّة العامّة مُمَوَّل من قِبل هبة من مركز Schmann للدّيمقراطيّة والإعلام. إنّ المشروع يُدقق بلب المسائل المتقاطعة مع الإعلام والدّيبلوماسيّة العامّة في الشّرق الأوسط.

إنّ المشروع يهدف للإجابة على الأسئلة التّالية: كيف يتفاعل الإعلام الغربي والعربي وكيف يفهمون بعضهم؟ كيف تُروَّج أهداف السّياسة الخارجيّة الأميركيّة وكيف تُفهم من قِبل الشّعب في الشّرق الأوسط؟ والأمر الأكثر أهميّة، ما هو نوع المُبادرة الجديدة الّتي يمكن أن تكون مُؤثّرة في تعمية الفهم المُتبادَل بين العالمين الغربي والعربي؟

Research Services Group
ResearchServics.Group@gmail.com